محروم فنحن نسوقهم الى فعل الخير قهراً وتحيلاً عليهم حتى يؤجروا ونؤجر نحن معهم ونقضي حوائج الناس الملهوفين العاجزين كان هذا دأبهُ يفعل غالب أوقاتهِ الخير بجاههِ وماله وعلمهِ رحمهُ الله

تسامح العظماء

يظن من لا عهد له بدرس مشاهير رجال الاسلام انهم كانوا جبابرة لا يحسنون غير البطش والكر والفرّ على ان الباحث في سيرهم يراهم من أشد الأمم حرصاً على على مافيهِ قوام عمرانهم ولم يكن في قلوبهم غالباً شيء مما يقال له تعصب أو تحزب بل ساسوا رعاياهم سياسة العدل لم يحابوا ولم يداجوا فقدروا الكفاءآت قدرها ولم يعتبروا في مصالحهم الا أهل الغناء والعلم . وربما لا يصدق الاغمار في هذه الاعصار لو قلنا لهم[1] ان معاوية بن أبي سفيان اصطفى لنفسهِ ابن أثال النصراني من أطباء دمشق وأحسن اليهِ وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيهِ . وصحب تياذوق الطبيب الحجاج بن يوسف الثقفي المتولي من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطب وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان له منهُ الجامكية الوافرة والافتقاد الكثير

وخدم جورجس بن جبرائيل الخليفة المنصور وكان عظيماً عنده رفيع المنزلة ونال من جهتهِ أموالاً جزيلة والمنصور هو الذي يقال له الدوانيقي لبخله. وخدم بختيشوع بن جورجس هرون الرشيد وتميز في أيامهِ وكان رئيس الاطباء كلهم في بغداد . وكان جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس حظياً عند الخلفاء رفيع المنزلة عندهم كثيري الاحسان اليهِ وحصل من جهتهم من الاموال مالم يحصله غيره من الاطباء وكان مكيناً عند جعفر بن يحيى بن

(١) اتخذت طبقات الاطباء مرجعاً في كتابة هذه الرسالة والغالب اني أنقل المقصود من عبارة المؤلف بالحرف الواحد

خالد بن برمك أخيهُ مثل نفسهِ وكان لايصبر عنهُ ساعة ومعه يأكل ويشرب أعطاه الرشيد مرة من أجل مداواة احدى خطاياه خمسمائة الف درهم وأحبه مثل نفسهِ وجعله رئيساً على جميع الاطباء . وأمر له المأمون مرةً بألف الف درهم وبألف كر حنطة وردّ عليهِ اكثر ما كان قبض منه من الاملاك والضياع وصار اذا خاطبه كناه بأبي عيسى جبرائيل واكرمهُ زيادة على ما كان أبوه يكرمه وانتهى به الأمر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملاً لايخرج الى عمله الا بعد ان يلقى جبرائيل ويكرمه وكان عند المأمون مثل أبيهِ .

ووجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل مدرج فيهِ عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار اليهِ في أيام خدمتهِ الرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة يذكر ان رزقهُ كان من رسم العامة في كل شهر من الورق عشرة آلاف لترهم يكون في السنة مائة وعشرون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الفا الف وستمائة وستون الفاً ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم يكون في الستة ستون الف درهم في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف وثلثمائة وثمانون الف درهم ومن رسم الخاصة في المحرم من كل سنة من الورق خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم ومن الثياب خمسون الف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم . تفصيل ذلك : القصب الخاص الطرازي عشرون شقة الملحم الطرازي عشرون شقة الخز الصوري عشر شقاق الخز المبسوط عشر شقاق الوشي اليماني ثلاثة أثواب الوشي النصيبي ثلاثة أثواب الطيالسة ثلاثة طيالس ومن السمور والمنك والثعالب والدلق والسنجاب للقبطين . وكان يدفع اليهِ في مدخل صوم النصارى في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وفي يوم الثمانين من كل سنة ثياب من وشي وقصب وملحم وغيره بقيمة عشرة آلاف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة

مائتا ألف وثلاثون ألفاً وفي يوم الفطر في كل سنة من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف ألف ومائة وخمسون ألف درهم وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم على الحكاية يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة مائتا ألف وثلاثون ألف درهم

ولفصد الرشيد دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم من الورق مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ولشرب الدواء دفعتين في السنة كل دفعة خمسون ألف درهم مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفا ألف وثلثمائة ألف درهم . ومن أصحاب الرشيد على ما فصل منهُ مع ما فيهِ من قيمة الكسوة وثمن الطيب والدواب وهو مائة ألف درهم من الورق اربعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة تسعة آلاف ألف ومائتا ألف درهم . تفصيل ذلك عيسى بن جعفر خمسون ألف درهم زبيدة أم جعفر خمسون ألف درهم العباسة خمسون ألف درهم ابراهيم بن عثمان ثلاثون ألف درهم الفضل بن الربيع خمسون ألف درهم فاطمة أم محمد سبعون ألف درهم . كسوة وطيب ودواب مائة ألف درهم ومن غلة ضياعه بجندي سابور والسوس والبصرة والسواد في كل سنة قيمتهُ بعد المقاطعة ورقاً ثماني مائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ثمانية عشر ألف ألف واربعمائة ألف درهم ومن فضل مقاطعته في كل سنة من الورق سبعمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ستة عشر ألف ألف ومائة ألف درهم وكان يصير اليهِ من البرامكة في كل سنة من الورق ألفا ألف واربعمائة ألف درهم . تفصيل ذلك : يحيى بن خالد ستمائة ألف درهم يكون في مدة ثلاث عشرة سنة أحد وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف درهم يكون جميع ذلك مدة أيام خدمتهُ للرشيد وهي ثلاث وعشرون سنة وخدمتهُ للبرامكة وهي ثلاث عشرة سنة سوى الصلات الجسام فانها لم تذكر في هذا المدرج من الورق ثمانية وثمانين ألف ألف درهم وثلثمائة ألف درهم منها خمسة وثمانون ألف ألف درهم ثلاثة آلاف ألف واربعمائة ألف درهم

التذكرة : الخراج من ذلك ومن الصلات التي لم تذكر في النفقات وغيرها على ما تضمنه المدرج المعمول من العين تسعمائة ألف دينار ومن الورق تسعون ألف ألف وستمائة ألف درهم . تفصيل ذلك ما صرفهُ في نفقاتهِ وكانت في السنة ألفي ألف ومائتي ألف درهم على التقريب وجملتها في السنين المذكورة سبعة وعشرون ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم ثمن دور و بساتين ومتنزهات ورقيق ودواب والجازات سبعون ألف ألف درهم ثمن آلات وأجر وصناعات وما يجري هذا المجرى ثمانية آلاف ألف درهم . ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لخاصته اثنا عشر ألف ألف درهم . ثمن جواهر وما أعده للذخائر عن قيمة خمسمائة ألف دينار خمسون ألف ألف درهم . ماصرفهُ في البر والصلات والمعروف والصدقات وما بذل بهِ خطه في الكفالات لاصحاب المصادرات في هذه السنين المتقدم ذكرها ثلاثة آلاف ألف درهم . ما كابره عليهِ أصحاب الودائع وجحدوه ثلاثة آلاف ألف درهم . ثم وصى بعد ذلك كله عند وفاتهِ الى المأمون لابنهِ بختيشوع وجعل المأمون الوصيّ فيها فسلمها اليهِ ولم يعترض في شيء منها عليهِ بتسعمائة الف دينار . ولا عجب فيما قاله فيون الترجمان ان جنس جورجس وولده كانوا أجل أهل زمانهم بما خصهم الله بهِ من شرف النفوس ونبل الهمم ومن البر والمعروف والافضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والأخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح

وبلغ بختيشوع بن جبرائيل من عظم المنزلة والحال وكثرة المال مالم يبلغه أحد من سائر الاطباء الذين كانوا في عصره وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرس و بلغ من كمال المروءة ومباراة الخلافة في الزيّ واللباس والطيب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ في النفقات مبلغاً يفوق الوصف وكان أيضاً لطيف المحل من المهتدي بالله وشكا اليهِ ما أخذ منه في أيام المتوكل لنكبة وقعت عليهِ من هذا لفرط ادلاله عليهِ فأمر ان يدخل الى سائر الخزائن فكل ما اعترف بهِ فليرد اليهِ بغير استتمار ولا

مراجعة فلم يبق له شيء الا أخذه واطلق له سائر مافاته وحاطهُ كل الحياطة

وكان عبيد الله بن بختيشوع متصرفاً ولما ولي المقتدر الخلافة استكتبهُ لحضرتهُ وبقي معهُ مُديدة وصار ابنهُ جبرائيل من خاصة عضد الدولة بن بويه وكان يكرمه كثيراً ويغدق عليه المشاهرات ووصله الصاحب بن عباد بما قيمتهُ الف دينار وكان دائماً يقول صنفت مائتي ورقة أخذت عنها الف دينار يعني بذلك الكناش الذي وضعهُ بأمر الصاحب في الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم

وكان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانيا اكرمهُ المهدي مرة ولم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسهُ وكناه أبا قريش أي أبا العرب . وخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعيمة سنية . وكان عبدالله الطيفوري من أحظى خلق الله عند الهادي وزكريا بن الطيفوري كان من جماعة القائد أفشين كان منهُ ان امتحن الصيادلة في معسكره كما امتحن يوسف لقوة الكيمائي زمن المأمون صيادلة بغداد . وكان اسرائيل ابن زكريا الطيفوري جليل القدر عند الخلفاء والملوك كثيري الاحترام له وكان مختصاً بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والانعام الوافر . وكان المتوكل بالله يرى له كثيراً ويعتمد عليه ولهُ عند المتوكل المنزلة المكينة وجدّ مرة على المتوكل لما احتجم بغير اذنه فافتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين الف درهم وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبهُ مثل موكب الأمراء واجلاء القواد . وكان يزيد بن زيد بن يوحنا متطبب المأمون وخديم ابراهيم بن المهدي ولهُ منه الاحسان الكثير والانعام الغزير والعناية البالغة والجامكية الوافرة . وقديم سابور بن سهل عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء وكان عالماً بقوى الادوية المفردة وتركيبها وكان موسى بن اسرائيل الكوفي متطبب ابراهيم بن المهدي . وكان سلمويه بن بنان متطبب المعتصم اختاره لنفسه لما استخلف واكرمه اكراماً كثيراً يفوق الوصف وكان يرد الى الدواوين توقيعات

المعتصم في السجلات وغيرها بخط سلمويه وكل ما كان يرد على الامراء والقواد من خروج امر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين فبخط سلمويه وولى اخا سلمويه ابراهيم ابن بنان خزن بيوت الاموال في البلاد وخاتمه مع خاتم أمير المؤمنين ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه ابراهيم في المنزلة وكان المعتصم يسميه أبي فلما اعتل سلمويه عاده المعتصم وبكى عنده فلما مات امتنع المعتصم من اكل الطعام يوم موته وأمر بان تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته وحزن عليه حزناً شديداً. وعالج ابراهيم بن أيوب الايرش اسمعيل اخا المعتز وبريء فاجازته أمه والمتوكل بست عشرة بدرة [1] وكان أخص المتطببين عند المعتز لما أفضت الخلافة اليه. وكان جبرائيل كحال المأمون يدخل اليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة فيغسل أجفانه ويكحل عينيه فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك وكان يجري عليه الف درهم في كل شهر

واجرى الرشيد على ماسويه ابو يوحنا الفي درهم في الشهر ومعونة في السنة عشرين الف درهم وعلوفة ونزل وألزمه الخدمة مع جبرائيل وكان لهذا في الشهر عشرة آلاف درهم ومعونة في السنة مائة الف درهم وصلات دائمة واقطاعات

وخدم يوحنا بن ماسويه بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكان له منهم الانعام الكثير والمنزلة السامية وله عليهم دالة الاقران على اقرانهم لا الخدام على مخدوميهم. وكان ميخائيل بن ماسويه متطبب المأمون وكان به معجباً وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً حتى كان يدعوه بالكنية اكثر مما يدعوه بالاسم وكان لا يشرب الادوية الا مما تولى تركيبه واصلاحه له. وبلغ حنين بن اسحق عند المأمون منزلة عالية لانه كان رئيس جماعة التراجمة لعبده وكانت له الاقطاعات الحسنة والجواري الجيد والاحسانات الفائضة وزادت مكانته كثيراً بعد خروجه من

(١) البدرة كيس فيه الف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

المحنة التي ألحقها به أعداؤه وامر المتوكل الاطباء الذين ظلموا قتل حنين وسعوا فيه لديه ان يحمل اليه كل منهم عشرة آلاف درهم وأمر ان يضاف اليها مثلها من خزانته فكانت زهاء مائتي الف درهم . قال حنين في كلامه على ذلك ثم ان الخليفة امر باصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ولا رأيت لاحد من أهل صناعتي مثلها وحمل اليها سائر ما كنت اليه محتاجاً من الاواني والفرش والآلة والكتب وما يشاكل ذلك بعد ان شهد لي بالدور وتوثق بشهادات العدول لانها كانت خطيرة في قيمتها لانها تقوم بالوف دنانير فلمحبته لي وميله اليّ ان تكون لي ولعقبي ولا تكون عليّ حجة لمعترض فلما فرغ مما أمر به من الحمل الى الدور وجميع ما ذكر وتعليقها بانواع الستور ولم يبق غير المضي اليها امر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي وحملني على خمسة أروس من خيار بغلاته الخاصة بمواكبها ووهب لي ثلاثة خدم روم وامر لي كل شهر بخمسة عشر الف درهم وأطلق لي الغائث من رزقي في وقت حبسي فكان شيئاً كثيراً وحمل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والاهل ما لا يمكن ان يحصى من الاموال والخلع والاقطاع وحصلت وظائفي التي كنت آخذها خارج الدار من سائر الناس آخذها من داخل الدار وصرت المقدم على سائر الاطباء

وخدم يوحنا بن بختيشوع بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل وكان يعتمد عليه كثيراً ويسميه مفرج كربي . وحظي بختيشوع بن يوحنا من الخلفاء وغيرهم واختص بخدمة المقتدر بالله وكان له منه الانعام الكثير والاقطاعات من الضياع وخدم بعد ذلك الراضي بالله فاكرمه وأجراه على ما كان باسمه في أيام أبيه المقتدر

الباقي للآتي